

## التحرير والتنوير

وقد تقدم في سورة المؤمنين حكاية مثل هذه المقالة عن الذين كفروا إلا أن اسم الإشارة الأول وقع مؤخرا عن ( نحن ) في سورة المؤمنين ووقع مقدما عليه هنا وتقديمه وتأخيرها سواء في اصل المعنى لأنه مفعول ثان ل ( وعدنا ) وقع بعد نائب الفاعل في الآيتين . وإنما يتجه أن يسأل عن تقديمه على توكيد الضمير الواقع نائبا على الفاعل . وقد ناطها في الكشف بأن التقديم دليل على أن المقدم هو الغرض المعتمد بالذكر وبسوق الكلام لأجله . وبينه السكاكي في المفتاح بأن ما وقع في سورة المؤمنين كان بوضع المنصوب بعد المرفوع وذلك موضعه . وأما ما في سورة النمل فقدم المنصوب على المرفوع لكونه فيها أهم يدل على ذلك أن الذي قبله ( إذا كنا ترابا وآباؤنا ) والذي قبل آية سورة المؤمنين ( إذا متنا وكنا ترابا وعظاما ) فالجهة المنظور فيها هناك ( في سورة المؤمنين ) هي كون أنفسهم ترابا وعظاما والجهة المنظور فيها هنا في سورة النمل هي كون أنفسهم وكون آبائهم ترابا لا جزء هناك من بناهم ( جمع بنية ) على - أي باقيا - صورة نفسه ( أي على صورته التي كان عليها وهو حي ) . ولا شبهة أنها أدخل عندهم في تبعيد البعث فاستلزم زيادة الاعتناء بالقصد إلى ذكره فصوره هذا العارض أهم اه .

وحاصل الكلام أن كل آية حكى أسلوبا من مقالهم ( بل قالوا مثل ما قال الأولون قالوا إذا متنا ) ( لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا ) .

وبعد فقد حصل في الاختلاف بين أسلوب الآيتين تفنن كما تقدم في المقدمة السابعة . والأساطير : جمع أسطورة وهي القصة والحكاية . وتقدم الكلام على ذلك عند قوله تعالى ( وإذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الأولين ) في سورة النحل . والمعنى : ما هذا إلا كلام معاد قاله الأولون وسطروه وتلقفه من جاء بعدهم ولم يقع شيء منه .

( قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين [ 69 ] ) أمر الرسول A بأن يقول لهم هذه الكلمة ولذلك فصل فعل ( قل ) وتقدم نظيره في سورة الأنعام . والمناسبة في الموضوعين هي الموعظة بحال المكذبين لأن إنكارهم البعث تكذيب للرسول وإجرام . والوعيد بأن يصيبهم ما أصابهم إلا أنها هنالك عطفت ب ( ثم انظروا ) وهنا بالفاء ( فانظروا ) وهما متنايلان . وذكر هنالك عاقبة المكذبين وذكر هنا عاقبة الجرمين : والمكذبون مجرمون . والاختلاف بين الحكايتين للتفنن كما قدمناه في المقدمة السابعة .

( ولا تحزن عليهم ولا تكن في ضيق مما يمكرون [ 70 ] ) كانت الرحمة غالبية على النبي A والشفقة على الأمة من خلاله فلما أئذ المكذبون بهذا الوعيد تحركت الشفقة في نفس الرسول

من وكان . به أنذروا ما أصابهم إذا عليهم يحزن لا أن التشجيع بهذا قلبه على ا فربط E  
رحمته A حرصه على إقلاعهم عما هم عليه من تكذيبه والمكر به فألقى ا في روعه رباطة جاش  
بقوله ( ولا تكن في ضيق مما يمكرون ) .

والضيق : بفتح الصاد وكسرهما قرأه الجمهور بالفتح وابن كثير بالكسر . وحقيقته : عدم  
كفاية المكان أو الوعاء لما يراد حله فيه وهو هنا مجاز في الحالة الحرجة التي تعرض  
للنفس عند كراهية شيء فيحس المرء في مجاري نفسه بمثل ضيق عرض لها . وإنما هو انضغاط في  
أعصاب صدره . وقد تقدم عند قوله ( ولا تك في ضيق مما يمكرون ) في آخر سورة النحل .  
والظرفية مجازية أي لا نكن ملتبسا ومحوطا بشيء من الضيق بسبب مكرهم .  
والمكر تقدم عند قوله تعالى ( ومكروا ومكر ا ) في سورة آل عمران . و ( ما ) مصدرية  
أي من مكرهم .

الذي بعض لكم ردف يكون أن عسى قل [ 71 ] صادقين كنتم إن الوعد هذا متى ويقولون ( A E  
تستعجلون [ 72 ] ) عطف على ( وقال الذين كفروا إذا كنا ترابا ) . والتعبير هنا  
بالمضارع للدلالة على تجدد ذلك القول منهم أي لم يزالوا يقولون .  
والمراد بالوعد ما أنذروا به من العقاب . والاستفهام عن زمانه وهو استفهام تهكم منهم  
بقريئة قوله ( إن كنتم صادقين ) .

وأمر ا نبيه بالجواب عن قولهم لأن هذا من علم الغيب الذي لا يعلمه إلا ا ومن أطلعه  
على شيء منه من عباده المصطفين